ISSN : 2773-2770 مجلة العلوم الإسلامية
EISSN: 2800-1591 مجلد: 06 عدد 02 ديسمبر 2025
ص ـ ص: 159-191

الحفريات الأركيولوجية الأركونية في التّراث الإسلامي (المنطلقات، والمنهجية، والمصادر) دراسة وصفية تحليلية

Arkoun's Archaeological excavations in the Islamic heritage (Premises, methodology, and Sources) Descriptive and Analytical study

❁ أمل عوض الكريم محمد سعيد القرشي (*)
كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.
البريد الإلكتروني: amelawadalkareem@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 28/ 02/ 2025 تاريخ القبول: 11/ 11/ 2025

الملخص:

وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي، وفي محاولة للإجابة على السؤال الأساسي للبحث عن منطلقات ومنهجية ومصادر تصور أركون للحفر الأركيولوجي، وبهدف بيان مدى منطقية ومنهجية فكرة أركون المتعلقة بإعمال الأركيولوجيا في التراث الإسلامي، ولفت النظر لعواقب إدخال هكذا مناهج في الدراسات الإسلامية؛ تعطي هذه الدراسة نظرة مجملة لرؤية محمد أركون في إعمال الحفريات الأركيولوجية في التراث الإسلامي،وقد اتخذ ميشيل فوكو وحفرياته في المعرفة مرجعية له، عرَّف التراث على طريقته الخاصة، ولملم أطراف أفكار متعددة لمنهجه، فأعمل التفكيك، وأقحم الحداثة، وأجرى الديالكتيك،

(*) المؤلف المرسل

واستحدث مصطلح السنة الإسلامية الشاملة، وفق منهج أركيولوجي يختلف في بعض جزئياته عن أفكار ميشيل فوكو، يؤمن أركون بفكرة القطيعة المعرفية التي لا تعني الانفصال النهائي عن التراث، بل هي تصديقاً لقول فوكو نتيجة حتمية للتطور التاريخي العام، تذكرنا منهجيته بمفكري مابعد الحداثة على أقرب تقدير.

الكلمات المفتاحية: الأركيولوجيا؛ محمد أركون؛ ميشيل فوكو؛ التراث الإسلامي؛ الخطاب الديني؛ السنة الإسلامية الشاملة.

Abstract:

This study gives an overview of Muhammad Arkoun'svision in the implementation of archaeological excavations in the Islamicheritage, Taking Michel Foucault and his knowledge as reference، He Define heritage ،And collect multiple ideas for his approach, So he does the dismantling, And inject modernity, He conducted the Dialectic. a term comprehensive Islamic Sunnah wasinnovated,According to an archaeological approach thatdiffers in some parts from the ideas of Michel Foucault, He believes in the idea of cognitiveestrangement which does not meantotalseparation from heritage, Rather, it is a confirmation of Foucault'sstatement as an inevitable consequence of general historical development، His methodology reminds us of postmodernthinkers at the earliest.

Key words: Archaeology, Muhammad Arkoun, Michel Foucault, Islamic Heritage, Religious thought, Religious discourse, Comprehensive Islamic Sunnah.

مقدمة:

الفكر المسمى بالعقلاني الحديث، الذي يحلو لغالب مبتدريه تسميته بالعربي وليس الإسلامي، هو ما يقوده العقلانيون الجدد الذين شكلوا تياراً نافذاً في الفكر المعاصر لا يمكن تجاوزه، ولا الاستهانة به، فهم يدَّعون أنهم يعيدون المجهود العقلي للمعتزلة،ومن هؤلاء أركون الذي يعتبر أحد أهم الحفارين البارزين في التراث الإسلامي، ومن خلال مؤلفاته يمكن معرفة بعض ملامح هذا الفكر المحدث، الذي يزعُم أنه يصوغ مشروعاً حضارياً جديداً، مما يستدعي عمل مشاريع بحثية للإحاطة به، وتبيان أساليبه وأغراضه ومرجعياته.

ومشكلة البحث تتمثل في طلب الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ماهو الحفر الأركيولوجي، وكيف تم إقحامه على الدراسات الإسلامية؟

٢. ما هي منطلقات ومنهجية ومصادر وتصور أركون للحفر الأركيولوجي؟

3. ما هي كيفية التطبيق الأركوني للحفر الأركيولوجي في التراث، وما هي أبرز معالمه؟

4. هل المنهج الحفري الأركوني لا يعدو عن كونه بحثاً عن أصول إسلامية لأفكار غربية؟

ولاختيار الموضوع أسباب أهمها تحول الحفريات في التاريخ الإسلامي أو التراث الإسلامي أو الخطاب الإسلامي إلى ظاهرة، متصاعدة، مع قلة الدراسات حولها من قِبل المتخصصين في الدراسات الإسلامية.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان مدى منطقية ومنهجية فكرة أركون المتعلقة بإعمال الأركيولوجيا في التراث الإسلامي، من عدمها، ولفت النظر لعواقب إدخال هكذا مناهج في الدراسات الإسلامية.

تنتهج الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتميل إلى جانب العرض الذي يكشف ويحلل بحيادية دون التوسع في النقد، رجاء أن تكون هذه الدراسة المتواضعة إحدى لبنات دراسات معمقة تستهدف تفكيك ونقد تلك المشاريع.

كُتبت العديد من البحوث والمقالات في هذا الموضوع المهم بين مؤيدة ومعارضة ومحايدة، ولعلنا نكتفي في هذه الورقة بالعروج على اثنين منها، الأولى دراسة بعنوان: القراءات الأركيولوجية للفكر الإسلامي عند محمدأركون (مسألة الإسلام والحداثة)، للدكتور شهرزاد دراس[1]، ومن أسئلة الورقة الأساسية: ماهي أبستمولوجية[2] التفكيك عند أركون؟ وكيف تمت مساءلة أسس الفكر العربي لخلخلة التمركز حول الخطاب الإسلامي الأصولي؟ واستنتج الباحثأن أركون انتهج في

(1)شهرزاد دراس: القراءات الأركيولوجية للفكر الإسلامي عند محمد أركون(مسألة الإسلام والحداثة)، مجلة التدوين، الجزائر، جامعة محمد بن أحمد، وهران2 ، المجلد 3 ،العدد 3 ، تاريخ النشر 2011/12/2م

(2) الإبستمولوجيا: لفظ مركب من أبستيما، وهو العلم، ولوقوس وهو النظرية أو الدراسة، ومعناه نظرية العلوم أو فلسفة العلوم، وهي تختلف عن نظرية المعرفة، فهي تعني دراسة مبادئ العلوم، وفرضياتها، ونتائجها دراسة انتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية، انظر جميل صلبيا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1983م، ج1.ص33، إلا أن المقصود عند أركون غير ذلك لأنه يريد الأصول المعرفية للتفكيك، فالقراءة الابستملوجية للتراث الإسلامي عنده قراءة نقدية تعتمد على المناهج الغربية، ينتقد بواسطتها العقل الإسلامي وكيفية اشتغاله وتوظيفه للمعرفة، انظر: معاش ونصر الدين، شريف رضا: البُعد الأبستملوجي في قراءة التراث الإسلامي في فكر محمد أركون مجلة المعيار:ل12، العدد2، ،جامعة تيسمسيلت، الجزائر ، ديسمبر، 2021م،ص1000

قراءته للتراث الإسلامي نهجاً أركيولوجياً، واستطاع أن يحلل أكبر وأخطر مشكلة للعرب والمسلمين في رأي الباحث، وهي مشكلة الحداثة العقلية والفكرية متخذاً لذلك مقارنة بين كتاب: فصل المقال وتقرير مابين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد المؤلف حوالي عام ألف ومائة سبعة وثمانون للهجرة، وكتاب مقاربات الحداثة للمفكر الفرنسي جان ماري دومیناك المؤلف عام ألف وتسعمائة وستة وثمانون للميلاد، ليخرج ببرهان على إمكانية التوفيق بين الإسلام والحداثة.[3]

هل مثل هذا العمل الذي قام به أركون، وصوره الباحث دراس جاء وفقاً للمنهج الأركيولوجي؟ وإن كان أو لم يكن فهل يمكننا أن نصفه بأنه لا يعدو عن كونه بحثاً عن أصول إسلامية لأفكار غربية، هذا مما تأمل هذه الدراسة في توضيحه، مستصحبة مسلمة مهمة، وهي:أن أركون يوظف منهج فوكو الأركيولوجي، وقد صرَّح بهذا في مواضع كثيرة من مؤلفاته، لكن ميشال فوكو محسوب على فكر ما بعد الحداثة غالباً وله موقف نقدي منها، فهل يريد أركون أن يوصلنا للحداثة وقد تجاوزها شيخه، أم أنه يقودنا إلى ما بعد الحداثة دون أن ندري أو ربما دون أن يدرك.

الدراسة الثانية بعنوان البُعد الأبستملوجي في قراءة التراث الإسلامي في فكر محمد أركون للكاتبين: معاش و نصر الدين،وشريف رضا، وهي دراسة نقدية، تحدثت عن منهجية أركون في قراءته النقدية للتراث الإسلامي، وكيف تعرضت قراءته تلك للنقد الشديد حيث انبنت

(3)شهرزاد دراس: القراءات الأركيولوجية للفكر الإسلامي عند محمدأركون(مسألة الإسلام والحداثة)، (م.س)، ص69، 70

على توظيف لمناهج ومصطلحات ومفاهيم غربية غريبة على الفضاء الإسلامي، وخلصت الدراسة للقول بأن مشروع أركون هو مشروع حداثي معاصر، حاول فيه أن يقدم قراءة للتراث الإسلامي؛ قراءة ابستملوجية معاصرة غربية توافقت مع المجتمع الغربي وأحدثت تطوراً عنده، في حين أنها لا تصلح للمجتمعات المسلمة[4]

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وخاتمة وعنوانين أساسيين، الأول: منطلقات المنهج الأركيولوجي عند محمد أركون، وفيه أربعة عناوين فرعية هي على التوالي: مفهوم الحفر الأركيولوجي، موقف محمد أركون من الفكر الديني، مفهوم التراث عند أركون، سمات المنهج الأركيولوجي الجديد لأركون، أما المبحث الثاني فبعنوان: حيثيات المنهج الأركيولوجي عند محمد أركون، وفروعه أربعة أيضاً، وهي: الحفريات الأركيولوجية على خطى ميشال فوكو، التراث الإسلامي الكلي(السنة الإسلامية الشاملة) عند محمد أركون، التفكيك في منهج أركون، الأركيولوجيا وسيولة الحقيقة عند أركون. تلي ذلك الخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

(4)معاشو نصر الدين،شريف رضا:البُعد الأبستملوجي في قراءة التراث الإسلامي في فكر محمد أركون، (م.س)، ص1011،1008

2. منطلقات المنهج الأركيولوجي عند محمد أركون[5]

2.1. مفهوم الحفر الأركيولوجي:

يقال حَفَرَ الشيء يَحْفُرُه حَفْراً،وحَفَرَ الشيء نقاه كما تحفر الأرض بالحديدة، ويقال هو المكان المحفور، وبالتحريك هو التراب المخرج من الشيئ المحفور، والأحافير جمع حفر[6]، وهذا هو المعنى الأولي المقصود هناحيث يُقصد بالحفريات أو الأحافير لغة كل مايحفر في باطن الأرض لاستخراجه[7].

يهدف علم الآثار إلى فهم تطور الحضارات البشرية من خلال دراسة البقايا المادية؛ بالدراسة العلمية للماضي، والسلوك البشري، وقد وصفه أحد العلماء الأوائل بأنه (الفضول لمعرفة الماضي)، موضوعه هو الناس، مع اعتبار مستويات الأدلة التي تستخدم لدراستهم، فكان الحفر في بداياته من أجل الوصول إلى الاكتشافات وإلى المعرفة، مع تفضيل البحث في الحضارات، اليوم صار الاهتمام يتركز على كل مايتعلق بالأصول

(5)محمد أركون جزائري من مواليد عام ألف وتسعمائة ثمانية وعشرون، درس بباريس عام ألف وتسعمائة خمسة وخمسون، درَّس بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية، معظم مؤلفاته بالفرنسية، وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام والقرآن والسنة بالمقاييس الغربية، ويدعولاستعادة الجُهد العقلي للمعتزلة من أجل افتتاح عقلية جديدة، انظر: سيد بن حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، السعودية، جدة، ط1، 2004م، ج2،ص134،133. أيضاً محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، ط2، 1996م، ص42.وانظر في نقد منهجية أركون بتوسع: خالد كبير علال: الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمدأركون، ومحمد عابد الجابري، دراسة نقدية تحليلية هادفة، دار المحتسب، الجزائر، ط1، 2008م.

(6)ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ل2،ص924،923

(7) كيث طومسون: الحفريات (مقدمة قصيرة جداً)، ترجمة أسامة فاروق حسن، مراجعة هبة نجيب مغربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط15، ص9

البشرية، وأصبح لعلم الآثار مهمة دولية تتعامل مع المشاريع طويلة الأجل، مع قضايا مثل الاستدامة (التي تعني حفظ العالم الطبيعي والاستخدام المسئول للموارد الطبيعية)، بدلاً من مجرد العثور على المواقع الأثرية وتحديد عمرها، وبذلك تحول إلى علم تقني.(8)

يعتمد علم الآثار على البحث عن المخلفات التي صنعها الإنسان القديم بنفسه، وعلى كل ماله علاقة مباشرة أو غير مباشرة به، منذ وجوده وحتى تعاظم إنتاجه في العصور التاريخية القديمة، ولعلم الآثار صلات وثيقة بالعلوم الأخرى، فصلته بالتاريخ مثلاً تتضح فيما يقدمه من الحقائق في عصور تاريخية تركت وثائق دُونت فيها كتابات صورية أو مسمارية، وتعتبر هذه الكتابات في الغالب فرعاً من فروع علم الآثار، أما صلته بالدين فتفهم عند كثيرين من دراسته للأساطير والمعتقدات التي تعتبر من العبادات والطقوس والمراسيم والاحتفالات الدينية ذات العلاقة بالإنسان في حياته وموته ومابعد موته.(9)

استعير هذا العلم والتسمية لمناهج أخرى جعلت التعريف له فيه نوع من المجاز حيث رُكِّب في صيغ فلسفية أدخلته لعالم الأفكار والمعرفة والتراث، وأصبح دعاة الحفر في التراث وغيره يضعون له صيغاً تعريفية كلٌ وفقاً لمايرتئي أنه إنجاز يخصه في ميدان الفكر، فيرى المترجم والمعلق على كتابات أركون هاشم صالح أن مصطلح الأركيولوجيا أثار عدة ترجمات في اللغة العربية؛ أي أركيولوجيا المعرفة، أو أركيولوجيا العلوم الإنسانية، ترجمه بعض المترجمين بالمغرب بالحفريات أي حفريات المعرفة، وترجمه هاشم قبل أكثر من عشر سنوات كما هو، أي أركيولوجيا المعرفة ولا يزال

(8) براين فيغن: مختصر تاريخ الأركيولوجيا، (علم الآثار والفنون القديمة)، ترجمة أحمد الزبيدي، مكتبة سُر من قرأ، دار الكتب العلمية، العرق، بغداد، ط1، 2019م، ص9،251، 456-458

(9) تقي الدباغ: مقدمة في علم الآثار، دار الجاحظ، العراق، 1981م، ص2-4

يصر عليها، والآن يميل إلى استخدام مصطلح الحفر الأركيولوجي للدلالة على منهج كامل في الفكر، وعلى طريقة معينة في النظر إلى التراث.[10]

2. 2. موقف محمد أركون من الفكر الديني:

يرى أركون أن الدين لابد أن يوضع ضمن موضوعات العقلانية والعلمانية،فأنماط العقلانية التي لا تأخذ الفكر الديني بالاعتبار ولا تعبأ بتاريخ الفكر قاصرة، فلايمكن التفكير داخل إطار عقلانية مقطوعة عن كل علاقة بالبعد الديني(قلت البعد الديني - والقول لأركون - ولم أقل الاعتقاد أو الإيمان الديني، فهذان شيئان مختلفان).[11]

ويرى الفكر العلماني الحقيقي هو مايمكن وصفه بأنه موقف نقدي تجاه فعل من أفعال المعرفة، فهو البحث الأكثر حيادية والأقل تلويناً من الناحية الأيدولوجية، ويتناول تاريخ الأديان بصفتهابُعداً دائماً وكونياً من أبعاد المجتمعات البشرية[12]،وأركون لا يعبأ بالدين إلا بصفته بُعداً تاريخياً،وليس لدوره في الحياة الإنسانية، وهذا يناقض الفكرة الأساسية للعلمانية التي نشأت في عصر التنوير في مواجهة الكنيسة.[13]

يرى أركون أولوية التفكير النقدي المتمركز على نظام العقول المفترض وجودها في كل تركيبة معرفية أو خطاب معرفي، ويرى الإبقاء على مسألة (المعنى) في الخطاب الديني، ومضامين الإيمان بصفتها تركيبات نفسية

(10)محمد أركون:(من فيصل التفرقة إلى فصل المقال)،أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط2، 1995م،ص8،7

(11) محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط6، 2012م، ص252

(12) محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، (م، ن)، ص 65

(13) محمد علي البار: العلمانية أصولها وجذورها، دار القلم، دمشق، ط1، 2008م، ص 33

لغوية واجتماعية وتاريخية، لذلك لابد أن تؤخذ بالاعتبار ولو كان الباحث ملحداً.[14]

هذا يشبه ماقاله ميشال فوكو[15]عندما تحدث عن تاريخ الأديان بشكل عام،ضمن حديثه عن الأيديولوجياوالمعرفة،فليست الأيديولوجية عنده إقصاءً للعلمية، ويذهب إلى أن الخطاب في تصحيحه لأغلاطه لا يقطع بالضرورة كل الأواصر التي تجمعه بالأيديولوجيا،وتقوم وجهة نظره على فكرة أن التصدي لتحليل الحضورالأيديولوجي في علم ما من أجل إبرازه وتحويله يعني طرحه ثانية للسؤال كتشكيلة خطابية،يعني التصدي لمنظومة تكوين موضوعاته وأنماط تعبيره ومفاهيمه واختياراته النظرية، أي النظر إليه من جديد كممارسة بين باقي الممارسات الأخرى[16]

(14)محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل(نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي)، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م،ص7، 20

(15) ميشال فوكو: مفكر فرنسي (١٩٢٦_١٩٨٤م)، حصل على شهادة التبريز في الفلسفة، شغل كرسي تاريخ مذاهب الفكر في الكوليج دي فرانس بباريس، يلح على القطعيات التي تضبط تاريخ الأفكار، وعلى الانقطاعات التي تعكس مسار الإدراك والممارسة البشرية، وبذلك يشير إلى احتمال زوال قريب لبنية المعرفة الحالية، بل ومحو الإنسان نفسه،الذي يتلاشى حال اهتدائه لشكل جديد، انظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006م،ص٤٦٩_٤٧٠

(16) ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1987م،ص71

2. 3. مفهوم التراثعند أركون:

يميز أركون بين ثلاثة مستويات من التراث: الأول بمعنى التراث الإسلامي المقدس كما تراه كل جماعة: سني شيعي...، الثاني بالمعنى الأولي للكلمة وهو يعني كل العادات والتقاليد السابقة للإسلام، والتي استمرت بشكل أو بآخر حتى بعد الإسلام، أما المعنى الثالث فبمعنى التراث الإسلامي الكلي وهو خاص بأركون،وهو مايدعوه أيضاً بالسنة الإسلامية الشاملة[17]والتي سنتوسع في الحديث عنها لا حقاً، والتراث الذي يعنيه أركون ويستهدفه أو بالأصح يُعمل فيه فكره الجديد هو كما يراه: المفهوم التقني للتراث النبوي أو القرآن والسنة، وكذلك كل المعرفة العلمية والعادات والقيم التي تحفظ للأمة أمنها وهويتها، ويُعد مصدراً للسياده العليا وفضاءً لانتشارها وتوسعها.[18]

يقتفي أركون أثر فوكو في ربطه بين المعرفة والسلطة والسيادة ففي حين توقففوكو في "حفريات المعرفة" عند مشكل اعتبره الأكبر، وهو معرفة قوام تلك الفرضيات التي تفترضها العبارة، باعتبار أنه غير ملزم بتناول قضية تتعدى حدود (المعرفة) في هذا الكتاب، فطن قُراء فوكو أننا نلج ميداناً جديداً وهو ميدان (السلطة)من حيث أنها تمتزج بالمعرفة[19]،مع الأخذ بالاعتبار أن فوكو قد ولج في كتبه التالية هذا الميدان، وربطه بالمعرفة، وقد كان محمد أركون _ولذلك شواهد_ من بين القراء (الفطناء) الذين ولجوا هذا الميدان دون حدود أو محاذير؛ يشهد

(17) محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م، ص17،18

(18) محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية،(م.ن)، ص173

(19)جيل دولوز: المعرفة والسلطة (مدخل لقراءة فوكو)، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص 18

على ذلك حديثه الكثير عن السلطة وربطها بالمعرفة في حفرياته، فهو يعتبر التراث بناءً اجتماعياً وسياسياً يعاد تشكيله باستمرار من قِبل السلطة.

يرى أركون أن "الدراسات الحديثة تركز على السلطة كما تتجلى على مستوى الدولة، ولا تهتم بمسألة السيادة العليا أو المشروعية إلا نادراً"[20]، في الوقت الذي يعتبر فيه فوكو السلطة عبارة عن علاقة قوى، أو أن كل علاقة قوى هي على الأصح علاقة سلطة، وعنده هي ليست شكلاً كشكل الدولة مثلاً، ولا علاقة بين شكلين كالمعرفة، والقوى ليست على الإطلاق مفردة بل من سماتها الجوهرية أنها ترتبط بقوى أخرى أو ذات أخرى.[21]

2. 4. سماتالمنهج الأركيولوجي الجديد لأركون:

أولاً: ادعاء الجدة:يدعي أركون أنه صاحب مدرسة حديثة في الفكر، وينعت فكره بالمنفتح والتطبيقي للفكر الإسلامي، وهو أيضاً تاريخ تطبيقي وعملي في نفس حركة البحث ذاتها، لأنه يهدف إلى تلبية حاجات وآمال الفكر الإسلامي المعاصر،وسد نواقصه منذ أن كان هذا الفكر قد اضطر إلى مواجهة الحداثة المادية العقلية كما يتصور أركون.[22]

ولذلكيشتكي كل من فوكو وأركون من أن طرحيهما وجدا ممانعة قوية؛ فيشكو فوكو من تعالي الصيحات باغتيال التاريخ كلما لوحظ تحليلاً تاريخياً ما (خاصة في تاريخ الأفكار والمعارف) يعتمد بصورة جلية على مقولات الانفصال والاختلاف ومفاهيم العتبة والقطيعة والتحولووصف السلاسل والحدود، فكان يُعتبر ذلك مساً بحقوق التاريخ وتآمراً على أساس

(20) محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، (م، س)، ص159

(21) جيل دولوز: المعرفة والسلطة (مدخل لقراءة فوكو)،(م، س)، ص77

(22) محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، (م ، س)،ص12،11.

كل تاريخية ممكنة[23]، وهي ذات شكوى أركون من الإسلام السياسي الحالي _كما يسميه_الذي يرى أنه يرفض الغرب بعنف خوفاً مما يقدمه النموذج العلماني الذي يقدم صورة أخرى عن توليد التاريخ البشري غير التي يقدمها النموذج الديني التقليدي وسيلغي النموذج (الإلهي) لتوليد التاريخ كما فعل في الغرب الحديث.[24]

ثانياً: منهج أركونليس تنزيلاً لمنهج غربي على الواقع الإسلامي، كما يصوره أركون، حيث يقول نافياً كون مايدعو له مجرد تنزيل منهج غربي على الواقع الإسلامي:"تطبيق ذات المنهجية التي سلكها الغرب لا يعني بالضرورة استخلاص ذات النتائج، ولا يعني التقليد الحرفي للتجربة الأوروبية، فبرغم التشابه لاتطابق، فقد نتوصل إلى حلول مختلفة عن حلولهم تتناسب مع خصوصيتنا وأصالتنا التاريخية".[25]

ثالثاً: منهج متوافق مع الواقع الإسلامي،ولا يستهدف تصفية اللاهوت، ونتائجه قد تختلف عن التجربة الغربية: فلطمأنة المسلمين من قُراءه، أرسل أركون رسائل حازت على أقل تقدير على تمجيد المترجم والمعلق على كتاباته هاشم صالح، الذي رأى أن هذا القول تكمن فيه أصالة فكر أركون وموقفه المختلف عن غيره، حيث يرى أركون أنه من المؤكد أن الوعي الجماعي الإسلامي المعاصر لم يشهد تلك القطيعة النفسية والثقافية بالدرجة التي شهدها الغرب، وليس ذلك بسبب مقدرة الإسلام على مقاومة حركة العلمنة بفاعلية أكبر من المسيحية، ولكن لأنها شهدت هجمات مختلفة من قبل العقل العلمي والحضارة الصناعية، ولا

(23) ميشال فوكو:حفريات المعرفة،(م، س)، ص14، 15

(24) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، (م، س)، ص23

(25)محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني(كيف نفهم الإسلام اليوم)، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص310

يعني ذلك أيضاً أن الانتقال إلى مرحلة العلمنة سوف يؤدي بالضرورة إلى تهميش اللاهوت أو حتى تصفيته كلياً. إن ذلك لا يعني أبداً أن هذا التطور التاريخي سوف يشهده الإسلام حتماً مثلما شهدته المسيحية في الغرب.[26]

3. حيثيات المنهج الأركيولوجي عند محمد أركون:

3. 1.الحفريات الأركونية على خُطى ميشال فوكو:

أرى دارون ومذهب التطور مختبئاً داخل كل تفاصيل كتابات دعاة الحفر الأركيولوجي، وقابعاً خلف كلماتهم وتحليلاتهم،ومذهب التطور مذهب قديم يعود لليونان، لكنه أصبح مذهباً علمياً يوم أصبح العلماء يعللون نشوء الأنواع الحية بقانون تنازع البقاء وقانون الانتخاب الطبيعي، وجعلوا التطور قانوناً كلياً محيطاً بكل شيء،[27] فها هو كيث طومسون يذهب إلى أن سجل الحفريات يقدم لنا سلسلة من الأنماط المتسقة للتغيرات قادت إلى فهم الحركة الدائبة التي لا تهدأ للقارات، والتقلبات المناخية وتاريخ الحياة الذي يخضع لسلسلة لا تتوقف من عمليات النشوء والانقراض مع مرور الزمن لاسبيل للحيلولة دونها، فهي عنده حتمية _على طريقة دارون _ أما عن صلتها بالفلسفة فيرى أن "الحفريات تمنحنا نظرة شاملة عن الحياة نفسها، تعرض الحياة داخل بُعد زمني تصبح فيه وجهة النظر القائمة على أن الإنسان هو محور الكون لا معنى لها".[28]

وهذا القول يسوقنا إلى عرض فكرة فوكو الذي يتبنى فكرة موت الإنسان. يقدم فوزي العلوي فوكو على أنه صاحب فكرة جديدة، رغم أنه

(26) محمد أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.ص103-104

(27) جميل صلبا: المعجم الفلسفي، (م،س)، ص556،295

(28)كيث طومسون: الحفريات (مقدمة قصيرة جداً)، (م ، س)، ص 91-93، 123-125

يتحدث عن تذبذب وعدم ثبات الهوية الفكرية للفيلسوف، فيقدم الكاتب فلسفة فوكو كمنهج تاريخي جديد.[29]ولعل فوكو يُعتبر أبرز من وضع تصوراً واضحاً لحفريات المعرفة، وصار فكره مصدراً لغيره خاصة من العرب والعقلانيين الجدد أمثال أركون وغيره، تأثر أركون بفوكو وبمنهجيته الأركيولوجية، وهذا ما أشار إليه هاشم صالح عندما أوضح أن ميشيل فوكو هو من ابتدر هذا الفكر وفتح الأفق لغيره ومنهم أركون.[30]

ونبدأ بفوكو لأنه يعطينا تصوراً مبدئياً مهما للحفر الأركيولوجي، وكيف وضع له أسساً ومجالات ورسم له أطراً معرفية لعله لا يتجاوزها حيث يتركز عمل فوكو على الخطاب، وما يسميه الانفصالات،كأنها طفرات تولد على طريقة دارون، يتحدث في كتابه (حفريات المعرفة)[31] عن تشكلات خطابية، لها نظرية عامة وميادين للتطبيق؛ ومعرفة التشكلات الخطابية واستنباط نظريتها العامة وميادين تطبيقها هو ما يسميه فوكو تحليلاً،_مع أنه يرفض النظريات الثابتة فكأنما يناقض نفسه_، ويسمي هذه التحليلات بالحفريات قائلاً:..هذا التحليل الذي أطلقت عليه وبكيفية ربما رسمية اسم الحفريات.[32]

(29) فوزي العلوي: حفر في أركيولوجيا العدمية لدى ميشال فوكو، دارالمعارف الحكمية، لبنان، ط1، 2014م، ص55

(30) محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، (م، س)، ص241

(31)يقول فوكو أن له مشروعاً مشيراً لكتابه(الكلمات والأشياء) ومتحدثاً عن قصور شاب الكتاب في عرض الفكرة، مبيناً أن الصورة الواضحة لها، والمكتملة هي في هذا الكتاب(حفريات المعرفة)... وهذا المشروع هو مايضع معالمه بوضوح في هذا الكتاب حسب قوله: يقول هو مشروع نسعى فيه إلى قياس التحولات في التاريخ، ويرمي للقضاء على آخر مظاهر التبعية الأنطولوجية، انظر ميشال فوكو: حفريات المعرفة، (م، س)، ص6

(32) ميشال فوكو:حفريات المعرفة، (م.ن)ص125

أما عن أشكال الخطاب الذي يقصد فهو: تاريخ الأفكار، تاريخ الفكر، تاريخ العلوم، أو تاريخ المعارف[33]، ميدانه يتكون من مجموع العبارات الفعلية(ملفوظة كانت أم مكتوبة) في تبعثرها كأحداث وفي اختلاف مستوياتها، والمادة التي علينا مواجهتها في حيادها الأول كما يرى فوكو،هي عبارة عن ركام من الأحداث داخل فضاء الخطاب، ومن هنا يبرزمشروع وصف الأحداث الخطابية كأفق للبحث في الوحدات التي تتشكل فيه، ويقدم فوكو حفريات المعرفة على أنها كتابة ثانية، أي تحويلاً منظماً لما كُتب لا يتعدى الشكل البراني فهي ليست عودة إلى سر الأصل ذاته، بل هي وصف منظم لخطاب يجعل منه موضوعه.[34] ولعل أركون الذي اقتفى أثر فوكو أراد بالحفريات الكشف عن الخطاب في ضوء السلطة التي ساهمت في إنتاج النصوص، وتبيان الكيفية التي تم من خلالها بناء التراث الفكري وإعادة إنتاجه على مر الزمن،بل ووضع منهجية مثالية في ذلك ترتب للتطور القادم.

3. 2.التراث الإسلامي الكلي(السنة الإسلامية الشاملة) عند محمد أركون:

لأن الحداثة مكون أساسي من مكونات نظرية (السنة الإسلامية الشاملة) نبدأ الحديث بالتعريف الأقرب في هذا المقام، فالحداثة(Modernism) تشكيل مرحلي حضاري قوامه فكرة تقوم على العقلانية بمعناها العلماني لا الفلسفي المستندة إلى العقل (تواصلي أو أداتي) كفاعل للتحديث ومرجعية له، فتصبح هذه العقلانية آلية أو مرجعية يعمل وفقاً لها التحديث منتجاً الحداثة في طور من أطوار

(33) ميشال فوكو:حفريات المعرفة،(م.ن)ص26،22،21

(34) ميشال فوكو: حفريات المعرفة،(م.ن)، ص129

العلمانية، وليست هي العلمانية نفسها في هذا الطور، لأن الحداثة هي صورة مجملة لواقع الحضارة الناتجة عن عمل العلمانية أولاً ثم التحديث ثانياً، وهذا ينطبق على حالة مابعد الحداثة أيضاً، وبما أن العلمانية هي عملية فصل استخدمت العقلانية مبتدئة بالدين ثم انتقلت إلى عالم القيم قيمة تلو أخرى، وهذا هو دورها، فإن التحديث يكمل من حيث انتهت العلمانية فيكيف الوضع ويضع البديل للقيمة المفصولة،(تماماً كما يفعل تحديث البيانات والمعلومات على الكومبيوتر). أي يغير المشروع الحضاري الحداثي بكامله بحيث يتوافق مع الوضع الجديد الذي تفرضه العلمانية (35).

فكرة أركون المبتكرة التي تعد إنجازاً خاصاً به إن جاز التعبير تتمثل في بلورة مفهوم التراث الإسلامي الكلي أو السنة الإسلامية الشاملة، الذي يأتي وفقاً للديالكتيك الذي يعمل بآلية الحداثة التفكيكية، والتي هي في الأصل مابعد الحداثة وإن سماها أركون حداثة،تعمل هذه الحداثة في قوتين هي ثالثتهما وهما التراث بمعناه العام والتراث الكتابي المقدس، لتنتج قوى جديدة ومرحلة تراثية جديدة سماها السنة الإسلامية الشاملة، وبما أن الديالكتيك يأتي بنتائج حتمية ومستمرة فهناك عملية تصاعدية أخرى تحدث دون توقف، هذا يحدث تلقائياً في التاريخ الإسلامي، لكنه دون رعاية الحداثة الحقة يأتي مشوهاً من قبل السلطة غالباً كما يرى أركون.

"حيث تندمج الحداثة داخل هذا النوع من التحول التاريخي الذي طرأ على التراث. كيف ؟ يذهب أركون إلى أن دراسة المجتمعات الحالية تكشف عن لعبة ثلاث قوى،أولها التراث بالمعنى العام وهو سابق على تراث

(35)أمل عوض الكريم محمد سعيد القرشي:الفكر الإسلامي في مواجهة الحداثة الغربية، رسالة دكتوراة في العقيدة، جامعة أم درمان الإسلامية، 2013م، ص190، ومايليها.

الأديان أي قبل الإسلام، وثانيها التراث الكتابي المقدس أي التراث الإسلامي، أما الثالث فهو الحداثة"[36] التي تميل لإحداث القطيعة بين القوتين السابقتين دون أن تتوصل إلى ذلك بشكل تام، وهذه القوى الثلاثة تغذي الديالكتيك الاجتماعي في كل مجتمع بشري.[37]

لم يوضح لنا أركون أي ديالكتيك يعني، هل على طريقة هيجل أم ماركس، والمطلق فيه هل هو روحي أم مادي، فالديالكتيك كلمة يونانية مشتقة من المجادلة، اصطلح عليها في الفلسفة الإغريقية على أنها ملاحظة أن كل شيء يتغير ويتطور من حال لحال، بدَّل هيجل الذي عاش مابين عام ألف وسبعمائة وسبعون، وألف وثمانمائة وواحد وثلاثون، المفهوم ليجعل من الديالكتيك السبيل الوحيد الواصل بين الفكر والروح والوجدان ورحلة الكشف عن أي حقيقة تبدأ (بالأطروحة)، تليها مرحلة الظهور الخارجي وتسمى (نفياً) أو (طباقاً)، والثالثة مرحلة تطابق الشكل الخارجي مع الوجود الذهني وتسمى (نفي النفي) أو (تركيباً)، كل طور من هذه الأطوار الثلاثة ينفي ذاته ليندمج في الطور الذي يليه، وهذه الحركة تناقضية وأطوارها من الفكر إلى الطبيعة، ثم من الطبيعة إلى الفكر، ويتكرر ذلك ليقدم في كل مرة تركيباً أغنى من الأول، أما الشيوعيون فيرون أن هيجل وضع الديالكتيك لكنه منكس على رأسه، وجاءت الماركسية فأقامته على قدميه، وكان ذلك على يد ماركس الذي عاش مابين عامي ألف وثمانمائة

(36) لا تناقض هنا ففي حديثنا عن مفهوم التراث تطرقنا لمستويات التراث عند أركون حيث قسمها لثلاث مستويات: الاسلامي المقدس، وبالمعنى الأولي للكلمة، ثم السنة الإسلامية الشاملة التي تعتبر مصطلح مستحدث خاص بأركون،ومادة عمل منهج أركون هي المفهوم التقني للتراث النبوي أو القرآن والسنة، وكذلك كل المعرفة العلمية والعادات والقيم التي تحفظ للأمة أمنها وهويتها، ويُعد مصدراً للسياده العليا وفضاءً لانتشارها وتوسعها، أنظر هذه الدراسة" مفهوم التراث عند أركون"ص12

(37) محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، (م، س)، ص39

وثمانية عشر وألف وثمانمائة وسبعة وثمانون، أهمما استحدثه الماركسيون هو أنه إذا كانت الأشياء في صيرورتها وتطورها إنعكاس لما يجري في الفكر والروح عند هيجل فإن مايجري في الفكر والروح ليس إلا انعكاساً لصيرورة الأشياء وتطورها في الخارج عند ماركس، أي أن الفكر والروح أصل عند هيجل والمادة من ثمراتها بينما المادة هي الأصل عند ماركس والروح من ثمراتها[38]، في المذهب الديالكتيكي العالم المادي وكذلك الفكر مترابط في حركة ليست تكرارية بل تطور وتقدم، التغير ليس كلياً فحسب بل تراكم التغيرات الكمية يؤدي إلى تغيرات كيفية، (في الصفة، في النوع، في الطبيعة، في الهوية الجوهرية)، هناك قفزات تقطع التطور المتدرج،(ترتبط به، تنبع منه)، كما هناك انقطاعات في التواصل، كل شئ نسبي متغير[39]، ثالوث أركون يعمل بالديالكتيك كما أوضح سالفاَ.

يسمي أركون الحداثة التي تظهر في مايسميه باللحظات الكبرى في تاريخ الفكر؛ بالحداثة العقلية والفكرية. فالتوصل إلى التراث الكلي(أو السنة الكلية الشاملة) يتطلب الخروج من دائرة مايسميه بالفكر البدعوي (يقصد تلك التي تقول أن هناك إسلاماً واحداً صحيحاً ومستقيماً). إن دراسة التراث الإسلامي(أو السنة الإسلامية الشاملة) ضمن المعنى والتوجيه الذي يقصده هنا يعني وضع اليد مباشرة على موضع الداء الذي تعانيه المجتمعات الطائفية المغلقة على ماتعتقد أنه تراثها. كما يزعم أركون.[40]

(38)انظر: محمد سعيد رمضان البوطي: نقض أوهام المادية الجدلية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2008م، ص (١٧_ ٣٠)

(39) لينين: دفاتر عن الديالكتيك، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1971م، ص36

(40) محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، (م، س)، ص39-44

ولعل أركون يرى الحداثة من منظور هابرماس على أنها حركة تفكيكية تنبع من داخل المجتمع ذاته، وتعمل على تفكيك البُنى والأنساق السائدة في مجتمع معين، ومن ثم تحاول إبدالها بأنساق وبُنى مغايرة لما كان سائداً في السابق، لتكون الحداثة بذلك روح التحديث، الذي يمثل تجلياتها المتنوعة كما يراها هابرماس.[41]

لو كان ذلك المنهج الذي يطرح أركون يقوم على المنهج الديالكتيكي المعروف والحداثة المضمنة في ثالوث أركون هي ذات الحداثة التي يمجد، فمن أين تأتي البدعة وأين يأتي إبداعه ومافائدة التفكيك والحفر الأركيولوجي الذي يقدمه أركون كمنهج جديد؟

يرى أركون أن الحداثة تولّد دائماً مضادات لها، وهذا هو سر قوتها ونجاحها، فالعقل في الحداثة يصطدم بعقبات مضادة، وكثيراً مايدمر مساره السابق أو جزءاً منه في عودة نقدية على ذاته، بعد أن اكتشف أنه كان مساراً خاطئاً فهي تتصف بالمرونة والتساؤل، الحداثة حالة تساؤليه. وبهذا المعنى فلا تراجع عن مكتسبات القرن التاسع عشر الإيجابية التي شكلت المجتمع المدني والمساواة...ولكن هناك تراجع عن الجوانب السلبية المرافقة للنظرة الوضعية.[42]

يشرح مفهوم التراث الإسلامي الكلي(السنة الإسلامية الشاملة)، ويبين العيوب التي تصاحب تطبيقها الخاطئ والحتمي حتمية الديالكتيك،والتي سيتدخل منهجه لمعالجتها، وكأنما الحداثة في ثالوث الديالكتيك سالف الذكر ليست تلك التي ذكر تواً، وإنما رغم حتميتها

(41)يورقن هابرماس:القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1995م،ص9

(42)محمد أركون (من فيصل التفرقة إلى فصل المقال): أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، (م.س)، ص33

جاءت مشوهة وغير مثالية، أو على أقل تقدير هناك فرق بين النظرية والتطبيق فيما يتعلق بالتراث الإسلامي، يرى أركون أن التراث الإسلامي غالبًا ما يتم توظيفه من قبل السلطة لتحقيق الشرعية السياسية، فالسلطات المختلفة على مر التاريخ، سواء كانت خلافات إسلامية أو دول حديثة، استندت إلى عناصر من التراث لتبرير سلطتها. هذه العملية تنطوي على اختيار وانتقاء أجزاء معينة من التراث، بينما يتم تهميش أو تجاهل الأجزاء التي قد تتعارض مع مصالح السلطة، ويضرب لذلك الأمثال: فيقول عند المسلمين السنة نلاحظ أن كل أنواع السلطة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم قد لجأت إلى الخلط بين الذروتين الدينية والدنيوية لكي تكتسب الشرعية، أما الشيعة فغالباً انحصروا في خانة المعارضة، وأسسوا رؤية تراجيدية للتاريخ دينية ودنيوية، ونلاحظ أن الدول الجديدة بعد الاستقلال تبحث عن مشروعية مستندة إلى التراث الإسلامي لكي تدعم سلطتها، تمثل هذه الممارسة نوعاً من العلمنة وهكذا نجد القادة يسبغون حلة التراث على ممارسات اقتصادية لا علاقة لها بالدين وعلى المؤسسات السياسية والقضائية كالاشتراكية مثلاً عن طريق تغطية ذلك بمظهر إسلامي[43]، وفي العصر الحديث، ولكي يواجه العلماء الذين كانوا إصلاحيين تحديات الحداثة المفروضة عليهم من قِبل الغرب منذ القرن التاسع، عشر حاولوا ولا يزالون يحاولون فتح باب الاجتهاد.[44]

كأنما يريد أركون أن يقول أن الثالوث سالف الذكر قد عمل في التراث الإسلامي وجاء عمله مختلاً بسبب تدخلات السلطة، فجاء التغيير مشوهاً، ويعمل أركون على تتبع التحولات التاريخية التي طرأت على

(43) محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، (م، س)، ص28-30

(44) محمد أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي،(م.س)، ص12

النصوص الإسلامية، وكيف تم تأويلها واستخدامها في سياقات زمنية مختلفة. يأمل أركون أن يفتح مرحلة تاريخية جديدة في التطور الجاري، المرحلة التي يرافق فيها الفكر النقدي في الحداثة، والناقد في الوقت نفسه لهذه الحداثة، والمسهم في تعميقها انطلاقاً من المثال الإسلامي، يرافق أو حتى يسبق لأول مرة العمل السياسي والقرار الاقتصادي والحركات الاجتماعية الكبرى.(45)

3. 3.التفكيك في منهج أركون:

يعتمد عمل أركون على التفكيك، حيث يهدف من خلاله إلى الكشف عن الطبقات الخفية في التراث الإسلامي، وتفكيك المعاني لفهم كيفية تشكّلها، والتمكن من إعادة بنائها. ومصطلح تفكيك تم انتقاؤه بعناية: يقول المترجم هاشم صالح: استخدمتُ مصطلح تفكيك كمقابل للمصطلح الذي بلوره جاك دريدا، رغم المعنى السلبي الذي أحاط به من الناحية السياسية، وهو ليس عملية سلبية فقط بل وعملية فاعلة وإيجابية لأنه يؤدي إلى تركيب جديد للواقع حسب رؤيته.(46)

هذا يذكرنا بفكر ما بعد الحداثة؛(post modernism)، الذي ربما استبدله أركون بالحداثة كما يبدو من العرض السابق، باعتبار أن فلسفات ما بعد الحداثة ظهرت بعد ظهور وسقوط الفلسفة البنيوية، ويكاد يترادف مصطلح (ما بعد الحداثة) ومصطلح (التفكيكية)، وللتمييز بينهما يمكن القول بأن ما بعد الحداثة هي الرؤية الفلسفية العامة أما التفكيكية فهي بالمعنى العام أحد ملامح وأهداف هذه الفلسفة التي تقوم

(45) محمد أركون: نافذة على الإسلام، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م،ص29

(46)محمد أركون (من فيصل التفرقة إلى فصل المقال): أين هو الفكر الإسلاميالمعاصر، (م ، س)،ص12

بتفكيك الإنسان، بالإضافة إلى كونها منهج لقراءة النصوص يستند إلى هذه الفلسفة.[47]

ربما في إشارة لأماكن تحدث فيها عن إمكانية إسقاط ذات المنهجية على الكتب المقدسة غير القرآن[48]، يقول أركون: إن مشروعي في نقد العقل الإسلامي يهدف إلى تفكيك مناخين من الفكر الاسلامي والغربي أيضاً وتسليط أضواء المنهجية النقدية _التفكيكية _عليهما معاً، وهذا ما وجد معارضة من كلا الطرفين، واستعطافاً لمن استعداه من الغربيين يقول أركون: فأنا أريد تقوية الوظيفة النقدية للعلوم الاجتماعية وإعطائها مصداقية أكبر من خلال تطبيقها على مثال آخر غير المثال المسيحي الأوروبي مما يبلور روح جديدة تنطبق على كل التراثات البشرية، وليس فقط على التراث الأوروبي.[49]

ومنهج أركون الذي هو تحايل على النصوص الإلهية المقدسة ينزع عنها القداسة، فوفقاً لأركون يمكن أن ندمج الإيمان داخل موضوع دراستنا ونخضعه للتحليلات النقدية الأكثر تحريرية، مادة البحث (القرآن الكريم) تتطلب تطبيق كل المناهج عليها وليس فقط المنهجية الفيلولوجية_التاريخاوية، إنها تتطلب التدخل في كل مستويات(إنتاج المعنى)، و(آثار المعنى) من أجل توضيح ملابسات هذا النص المؤسس(تفسير ،حديث..)[50]، فأركون في كتابه "قراءات في القرآن" الذي

(47)عبد الوهاب المسيري، وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة،دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط2، 2003م، ص81

(48) محمد أركون: العلمنة والدين، الإسلام، المسيحية، الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط3، 1996م،ص48

(49) محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني،(م.س)، ص31،30

(50) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، (م، س)، ص47،46،42

يعتبر من أهم ماكتب، يقوم بتحليل النص القرآني، محاولًا فهمه كظاهرة خطابية ولغوية ضمن سياق تاريخي. يبحث في العلاقة بين القرآن والنصوص الأخرى السابقة له لتوضيح عملية التداخل الثقافي والديني.[51]

أركون يمجد الفكر الذي يصور تاريخاً ويفهمه على أنه أنثربولوجيا الماضي وأركيولوجيا الوعي الجماعي[52] وعنده يقدم النموذج العلماني (بقراءته للقرآن الغير تقليدية) صورة أخرى لتوليد التاريخ البشري غير التي يقدمها النموذج الديني التقليدي _ يربط بين القرءان ومسألة القطب التاريخي للحداثة من جهة، وبين القطب الخاص بالظاهرة الدينية من جهة أخرى _ يقول:كلمة القرآن تحتاج إلى تفكيك مسبق من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة، ويسمي القرآن(بالخطاب النبوي)، ويقول إنه سوف يقدم تحليلاً نفسياً واجتماعياً ولغوياً لما يسميه بالخطاب النبوي (أي القرآن)[53]، يذهب أركون إلى أنه ينبغي أن نطبق نفس المنهجية ونفس المجريات التفكيكية على كل تاريخ المجتمعات التي انتشر فيها هذا الوحي وقُبل وفُسر وترجم عملياً إلى قوانين أخلاقية وتشريعية ومعنوية وجمالية وروحية...[54]

3. 4.الأركيولوجيا وسيولة الحقيقة عند أركون:

يهدف أركون إلى تحليل الطبقات المعرفية التي تشكلت عبر التاريخ الإسلامي للكشف عن العناصر التي تم تهميشها أو إسكاتها. ويرى أنه ينبغي النظر إلى أي تراث على أنه مجموعة متراكمة من العصور كطبقات الأرض الجيولوجية أو الأركيولوجية، ولا يمكن الوصول للطبقات العميقة أي

(51) محمد أركون: قراءات في القرآن، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي للطباعة والنشر، 2017م

(52) محمد أركون: نافذة على الإسلام، (م،س)، ص26

(53) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل،(م، س)، ص29،23

(54) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل،(م، ن)، ص58

القرون التأسيسية مثلاً إلا باختراق الطبقات السطحية، إن على المؤرخ أن يقوم بعمل أركيولوجي من أجل إزاحة الركام واكتشاف الطبقات العميقة للحقيقة التاريخية، وعنده يعني التفكيك أيضاً تعرية آليات الفكر الذي ولَّد النظريات المختلفة والتشكيلات الأيديولوجية المتنوعة والأنظمة الإيمانية والمعرفية من أجل نزع البداهة عنها وتبيان منشئها وتاريخيتها وبالتالي نسبيتها.(55)

تفتح العولمة _والقول لأركون _ المجال للمقارنة بين أنظمة الحقيقة التي سيطرت على البشر عبر التاريخ، وبذلك تُخضع كل نظام لمنهجية الحفر الأركيولوجي العميق من أجل الكشف عن البنيات التحتية المدفونة التي انبنت عليها الحقائق السطحية الظاهرة، وهذه المرة لا يمكن استثناء أي نظام من أنظمة الحقيقة بحجة أنه إلهي منزل وغيره بشري زائل ،لا. فجميع التراثيات الدينية سوف تخضع لمنهجية النقد التاريخي والحفر الأركيولوجي في الأعماق، وإذا كان هناك نظام للحقيقة يستحق الاستثناء فسيجبر لامحالة على أن يجدد بيانه وبراهينة وتأصيله بحسب ماتقتضيه عولمة الذهن البشري ومايصاحب ذلك من المعرفة الكونية والعالمية.(56)

يعمل أركون على إخراج الظاهرة القرآنية من عزلتها التي يراها ويدمجها داخل الدراسة المقارنة للأديان الثلاثة بل وللأنثربولوجيا التاريخية للظاهرة الدينية كما سادت في حوض البحر الأبيض المتوسط، أي النطاق الجغرافي والتاريخي، وليس الغرض من ذلك البحث فيها عن أصول وإنما من أجل أن تعمق المعرفة بالعناصر

(55) محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية،(م، س)، ص10

(56)محمد أركون:القرآن من تفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص10

المؤسسة والمشتركة للوعي الديني التوحيدي مأخوذاً من تولده التاريخي الكلي،كما يصوره أركون، وفي مجريات تمايزه، عن طريق لحظات تدشينه أو انطلاقات جديدة للشيفرات الثقافية. فهذه اللحظات أو الانطلاقات هي التي تولد الدوائر الثقافية والسياقات الدوغمائية المغلقة ومجتمعات الكتاب المقدس/الكتاب العادي، وهذه الانطلاقات الجديدة كما يصورها أركون كأنها انقطاعات فوكو[57]،حيث يرى فوكو:أن الأمر ليسنقلاً لمنهج بنيوي إلى ميدان آخر في التاريخ بل هو لإثبات تحول داخلي _ أصيل_ ثم إن الهدف من هذه التحليلات أن تطرح من جديد للبحث الغايات وتجمع الأحداث في كليات وتقدمها موضع سؤال، وثالت الملاحظات أن الأمر يتعلق بتحديد منهج في التحليل التاريخي يقدمه فوكو ويقتفي أثره أركون.[58]

يرى فوكو أن أكثر الانقطاعات حسماً هي التي ينجزها تحول نظري ما عندما يؤسس علماً يفصله عن الأيديولوجيا[59]،في حين يذهب أركون إلى أن القطيعة المعرفية لا تعني الانفصال النهائي عن التراث بل إن القطيعة نتيجة حتمية للتطور التاريخي العام في مجتمع أو بيئة معينة[60]، ينصب البحث كما يوضحه فوكو على رصد عواقب الانقطاعات، تلك التي تتباين فيما يخص طبيعتها ووصفها ... التي تقطع الطريق أمام التراكم اللامحدود للمعرفة، وتدفع التحليل التاريخي إلى رصد نمط جديد من المعقولية وعواقبه، من بين تلك الانقطاعات

(57) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، (م، س)، ص72،73

(58) ميشال فوكو: حفريات المعرفة،(م، س)، ص15،16

(59) ميشال فوكو: حفريات المعرفة، (م.ن)،ص7

(60) محمد أركون: (من فيصل التفرقة إلى فصل المقال،)،أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، (م، س)، ،ص 11v

تحول المفاهيم وانتقالها [61]، وهو ذات منهج أركون وعليه فلا غرابة أن يعتبر محمد أركون مثلاً سفر رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا إحدى أولى الانقطاعات، في العصر الحديث.[62]

والأركيولوجيا من هذه المنطلقات تعني البحث عن عمق الأشياء والنبش عن جذورها، من أجل معرفة كيف انبثقت وتشكلت لأول مرة. ومصطلح أركيولوجيا المعنى، يعني أن المعنى ليس نهائيّا ولا أزلياً كما تقول النظرية المثالية. وإنما له لحظة تشكّل وانبثاق، مثلما أن له لحظة تفسخ وانهدام لكي يحل محله معنى آخر جديد.[63]

لاحظ أركون أن المنهج الأركيولوجي ينتقل بالباحث من البحث عن الحقيقة إلى البحث عن تشكل الحقيقة تاريخياً، وهو فارق مهم، فحين تكون الحقيقة متغيرة، ومتشكلة تاريخياً بفعل الإنسان والأطر المادية،كما تفعل الحوليات، والمعنوية كما يبحث علم النفس التاريخي، يكون البحث عن الإنسان وفاعليته في تشكيلها، باعتبار أن الحقيقة متغيرة بتغير الزمان وفي ذلك محاولة الانتقال من الاهتمام بالحقيقة إلى الاهتمام بطريقة تشكلها، وهو منهج يعبر عن يأس في وجود الحقيقة أصلاً، ويعتقد بسيلانها، كما هو عند مفكري مابعد الحداثة.[64]

يدعو أركون إلى قبول تعددية الحقائق، مشيرًا إلى أن المجتمعات المختلفة تنتج حقائقها بناءً على احتياجاتها وقيمها، فعند أركون تُحدث الحداثة العقلية القطيعة بين ما يسميها اليقينيات الدوغمائية للإيمان

(61) ميشال فوكو: حفريات المعرفة، (م، س)، ص6

(62) محمد أركون: نافذة على الإسلام، (م.س)، ص26

(63) محمد أركون: العلمنة والدين، الإسلام، المسيحية، الغرب، (م.س)، ص121

(64) مصطفى الحسن: الدين والنص والحقيقة، قراءة تحليلية في فكر محمد أركون، بيروت، لبنان، ط1، 2012م، ص 60

التقليدي، ولذلك ينبغي علينا أن نناضل ونصارع دون أن نقول أبداً بأننا نمتلك الحقيقة(سيولة الحقيقة)، يقول: لدراسة الإسلام ضمن سياق الحداثة نستصحب هذا الموقف الفكري (أي أننا لانمتلك الحقيقة)، فإننا نستعيد عندئذ كل مضامين التراث الإسلامي ضمن الإطار الواسع لأركيولوجيا المعنى، فينبغي تحليل التراث نقدياً بكليته من أجل تفكيكه وتبيان سبب نشأته وتشكله على الطريقة التي نشأ بها وتشكل، ولماذا مارس دوره كما مارسه في المجتمعات التي هيمنت فيها الظاهرة الإسلامية، ويكون ذلك في مراحل أولاها إعادة القراءة التفسيرية للقرآن اليوم. وهي ليست قراءة تقليدية وإنما هي تدشين كما يرى أركون لما أسماه بالقراءة الجدلية الديالكتيكية للفضاء الاجتماعي التاريخي، وهذه يراها قراءة جديدة كلياً، يقول: هذا هو التوجه المنهجي الأول الذي أريد أن الفت الأنظار إليه.[65]

(65) محمد أركون: العلمنة والدين، الإسلام، المسيحية، الغرب، (م.س)، ص48،45،44،43

4. خاتمة:

اكتملت بحمد الله هذه الدراسة المقتضبة التي حملت عنوان الحفرياتالأركيولوجية الأركونية في التراث الإسلامي،(المنطلقات والمنهجية)، وهي محاولة متواضعة لتوضيح معالم رؤية ربما جديدة في الفكر يتبناها تيار فكري معاصر؛ ألا وهي فكرة الحفريات في التراث الإسلامي، وتُلقي الدراسة نظرة على هذا الفكر مثمثلاً في أحد أبرز منظريه، وهو محمد أركون، وما توصل له اجتهاده في إعمال الأركيولوجيا في النص الديني والتراث الإسلامي.

نتائج الدراسة:

1. يقبل أركون الدين والفكر الديني، كما يفعل فوكو، بشرط أن يكون مادة للحفر الأركيولجي شأنه شأن غيره من أنواع الخطابات، بل ويعتبره مادة الحفر الأهم التي تدور حولها منهجيته الأركيولوجية.
2. تشابه فكرة أركون في الحفر الأركيولوجي أفكار فوكو وكأنما يتخذها مثالاً يبني عليه ومصدراً لفكره، ويختلف عنه في بعض الجوانب، وكلاهما يختبئ خلفه دارون، ومابعد الحداثة.
3. يقوم المنهج الأركيولوجي عند أركون على فكرة الانقطاعات والكيفيات الجديدة التي تشبه طفرات دارون وعلى خطى فوكو، وعلى التفكيك والديالكتيك،متبنياً فكرة جديدة (في حدود مطالعات الباحثة) سمى كيفيتها الجديدة بالتراث الإسلامي الكلي (السنة الإسلامية الشاملة)، تقوم على ثالوث يعمل وفقاً للديالكتيك يتكون من: التراث بمعناه العام، والتراث بمعناه المقدس، والحداثة (التفكيكية)، لينتج الثراث كما يتصوره أركون

(السنة الإسلامية الشاملة)، لتُطرح ديالكتيكياً من جديد في حركة غير منتهية، وبما أن الأمر يعمل وفقاً للديالكتيك، فلابد من كيفيات جديدة مستمرة.

4. حداثة أركون تعبير عن رؤية تفكيكية" مابعد حداثية" تقوم على سيولة الحقيقة، يرى أنها تاتي بكيفيات جديدة، وذلك حتمي، وهذا مايحدث في التاريخ الإسلامي، فتأتي مقحمة بواسطة أهل السلطة ملبسة ثياب الدين، ولكن هذا لا يأتي بها بالصورة الصحيحة كما يرى أركون.لذلك فهو يبحث عنالعناصر التي تم تهميشها أو إسكاتها.
5. يهدف أركون لجعل فكرة تطور الفكر الإسلامي والتاريخ الاسلامي حتمياً ولازماً ولابد منه.

التوصيات:

الحفريات في التراث الإسلامي عامة وعند أركون خاصة،تحتاج لمشاريع بحثية كبيرة يقوم بها طلاب الماجستير والدكتوراة، تتتبع تطبيقات الفكرة على التراث الإسلامي، وتناقش مواطن الخلل المنهجي والتطبيقي عند أركون، كما تحتاج لورش ونقاشات مفتوحة مع من يتبنون هذه الفكرة ويؤمنون بها.

5. قائمة المصادروالمراجع:

1. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1981م
2. أمل عوض الكريم محمد سعيد القرشي: الفكر الإسلامي في مواجهة فكر الحداثة الغربية، (دراسة وصفية تحليلية مقارنة)،

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، جامعة أم درمان الإسلامية،2013م(غير مطبوعة).

3. براين فيغن: مختصر تاريخ الأركيولوجيا (علم الآثار والفنون القديمة)، ترجمة أحمد الزبيدي،مكتبة سُر من قرأ، دار الكتب العلمية، العراق، بغداد، ط١، ٢٠١٩م
4. تقي الدباغ: مقدمة في علم الآثار، دار الجاحظ، العراق، ١٩٨١م.
5. جميل صلبيا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني،بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
6. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م.
7. جيل ديلوز: المعرفة والسلطة (مدخل لقراءة فوكو)، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان،ط١، ١٩٨٧م.
8. خالد كبير علال: الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمدأركون ومحمد عابد الجابري-دراسة نقدية تحليلية هادفة- دار المحتسب، الجزائر،ط١، ٢٠٠٨م.
9. سيد بن حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام،دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، السعودية،جدة، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠٠٤م.
10. شهرزاد دراس: القراءات الأركيولوجية للفكر الإسلامي عند محمدأركون (مسألة الإسلام والحداثة)، مجلة التدوين، جامعة محمد بن أحمد، وهران٢، الجزائر، المجلد ٣ ،العدد٣، تاريخ النشر٢/١٢/٢٠١١م، الصفحات(69_80).
11. عبد الوهاب المسيري، وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان،ط٢، ٢٠٠٣م.

12. فوزي العلوي:حفر في أركيولوجيا العدمية لدى ميشال فوكو، دار المعارف الحكمية، لبنان، ط١، ٢٠١٤.
13. كيث طومسون: الحفريات(مقدمة قصيرة جداً)، ترجمة أسامة فاروق حسن، مراجعة هبة نجيب مغربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط١٥.
14. لينين: دفاتر عن الديالكتيك، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1971م.
15. محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، ط٢، ١٩٩٦م.
16. محمد أركون: العلمنة والدين، الإسلام، المسيحية، الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان،ط٣، ١٩٩٦م.
17. محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
18. محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط٦، ٢٠١٢م.
19. محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل(نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي)، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
20. محمد أركون: قراءات في القرآن، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي للطباعة والنشر، 2017م.
21. محمد أركون: القرآن من تفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان،ط٢، ٢٠٠٥م .

22. محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني(كيف نفهم الإسلام اليوم)، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م .
23. محمد أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
24. محمد أركون: من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٥م.
25. محمد أركون: نافذة على الإسلام، ترجمة صياح الجهيم، دار عطية للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
26. محمد سعيد رمضان البوطي: نقض أوهام المادية الجدلية، دار الفكر،دمشق، سوريا،ط٣، ١٩٨٥م.
27. محمد علي البار: العلمانية أصولها وجذورها، دار القلم، دمشق، ط1، 2008م.
28. مصطفى الحسن: الدين والنص والحقيقة، قراءة تحليلية في فكر محمد أركون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٢م.
29. معاشو نصر الدين،شريف رضا: البُعد الأبستملوجي في قراءة التراث الإسلامي في فكر محمد أركون مجلة المعيار، ديسمبر، 2021م ،جامعة تيسمسيلت، الجزائر
30. ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ط2، ١٩٨٧م.
31. يورقن هابرماس:القول الفلسفي للحداثة،ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، سورية،١٩٩٥م.